مداخلة الملتقى الوطني المشترك بين جامعة تيارت وجامعة أدرار حول العلاقات الثقافية والحضارية بين توات وحواضر المغرب الإسلامي.
المحور الأول : الموقع الجغرافي لإقليم توات.

***الاستاذ*: ثياقة الصديق** أستاذ مساعد بقسم اللغات والآداب، فرع التاريخ ، جامعة أبن خلدون-تيارت
Email;tiagaseddik@yahoo.fr

نمط العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بإقليم توات

" العمارة صورة مجسمة لثقافة الأمة، عن طريق فن العمارة يمكن إجاد علاقة مع المجتمع الذي يعيش فيها ".

مقدمة:

تنتشر في المنطقة الغربية من الصحراء الجزائرية، أي الجنوب الغربي المعروف بإقليم توات، مجموعة من التجمعات السكانية المتناثرة هنا وهناك الشبيهة بأرخبيل من الجزر في البحر، يعرف بالقصور، يقول عنها "ماركوت COTE.M": "هذا الصنف من المدن يخضع من جهة إلى مناخ قاحل ومن جهة أخرى إلى مساحات خالية. هذان الظرفان يكسبها خصوصية كبيرة. وقد نشأت هذه المدن من وظيفة المحطات على المحاور الكبيرة للقوافل التجارية في العصور السالفة، وأخذت شكل المدينة- الواحة، لأن الماء والنخيل يشكلان قاعدتها الأساسيةِ"[1].مثلما كانا يشكلان قاعدة لملتقى تلك القوافل.

وقد عرف أقليم توات ظاهرة الأستيطان البشري منذ الفترة ما قبل التاريخية، ومرحلة فجر التاريخ من طرف قبائل الجيتول، ثم العناصر الزناتية ليشهد تطور واذدهارا لا مثيل في فترة العصور الوسطى لما هجرت وأستوطنت به القبائل العربية الأسلامية، مثله مثل حواضر،ونتيجة للتلاقحات الحضارية بين أقليم توات وحواضر المغرب الأسلامي وبالتالي صقلته بثقفاتها المتعددة ، ومنها فن العمارة. لهذا نحاول - هنا- في هذه المداخلة تسليط الضوء على هذا الجانب الحضاري المهم، وهو نمط العمارة لأقليم توات لاسيما أبان الحقبة الوسطى، لانه جانب لم ينل الأهتمام العلمي بالرغم من انه لايقل أهمية عن حواضر المغرب الأسلامي الذي هو جزء منها. حواضر المغرب الأسلامي لاسيما قبائل المعقل أليه كما توالت عليه الهجرات البشرية بلدة تمنطيط قد استقطبت أغلب القبائل العربية و العجمية التي نزحت إلى توات بصفتها كانت عاصمة القصور الصحراوية ومن أهم القبائل التي أثرت تأثيرا واضحا في عمارة أقليم توات.

ب- الموقع الجغرافي والبيئة الطبيعية:

يقع إقليم توات في جنوب غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى، وتبعد أقرب نقطة عن العاصمة الجزائرية بحوالي1500كلم جنوبا"[2]. يحدها من الناحية الشمالية العرق الغربي الكبير، ومنطقة" تينكورارين"[3] وكذا "وادي الساورة" وعرق الراوي، ومن الناحية الغربية وادي مسعود. حيث تندثر مياهه في رمال عرق شاش، الذي يحد الإقليم من ناحيته الجنوبية الغربية، وغرب توات هضبة تادمايت و منطقة تيدكلت"[4] وجنوبا شرقها سبخة "مكرغان" و"تنزروفت". ومنطقة توات بهذا التحديد تنحصر فلكيا بين خطي طول 2.30و3.30 درجة غربا و دائرتي عرض 26.7و28.5 درجة شمالا"[5]

فلإقليم يقع ضمن الصحراء الإفريقية الكبرى وامتدادا للصحراء العربية، وجيو سياسيا يمثل إحدى جهات الصحراء الجزائرية وبذلك يحمل فسيفساء كل خصائص الأقاليم الصحراوية، يغلب عليها طابع الرمال والحمادة. حيث يقول" فرج محمود فرج" في رسالة لنيل الدكتورة سنة 1977 "ومدن قصور هذا الإقليم تمتد في سهول رملية، جنوب العرق الغربي الكبير وحول هضبة تادمايت بجهاتها الثلاثة الشمالية والغربية والجنوبية، أما ابن خلدون يصف تضاريسها من خلال موقعها فيقول:"وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال المتهايلة المماثلة حجرا بين بلاد السوس وبلاد البربر ويعرف عند البربر الرحالة البادية بالعرق، وهذا العرق السياج على المغرب من جهة الجنوب مبتدأ من جهة البحر المحيط وذاهب في جهة الشرق على سمة واحد إلى أن يعترضه النيل الهابط من الجنوب إلى مصر فهناك ينقطع، وعرضه ثلاث مراحل وأزيد ويعترضه في قبيلة المغرب الأوسط"[1] أرض محجرة تسمى عند العرب ب "الحمادة*"[2]. إلى بلاد ريغ واردة في جهة الجنوب بعض بلاد الجريد ذات نخل وأنهار معدودة في جملة بلاد المغرب،"مثل بلاد بودة, تمنطيط. في قبلة الغرب الأقصى. وتنكورارين في قبلة المغرب الأوسط وغدا مس وفزان في قبلة طرابلس وإلى هذه العدوة"[3] الجنوبية من هذا العرق"[4]"[5] ولا وجود للجبال في توات بل هناك بعض الهضاب تتخلل الإقليم بين تيدكلت وتوات,والى جانب الرمال نجد الحمادة بأسفل توات وهي ارض يغلب عليها الاستواء تغطيها طبقة من الحصى وهي ارض صعبة يصعب على الجمل السير فيها بسهولة، كما أن مصادرها المائية محدودة فالآبار بها قليلة وبعيدة الغور.

وفي شمال تسابيت توجد مجموعة كبيرة من الكتل الرملية تكون في مجملها عرق الراوي، وهناك العديد من الآثار البحرية بين "تيما دانين" وبودة، كالمحارات وبعض آثار الأشجار، مما يدل على أن المياه بالمنطقة كانت كثيرة، والأودية كانت تجري طوال أشهر السنة.

و يذكر محمد بن عمر البداوي، في مخطوطه "وتوات هذه هي قصور وافر عديدة على حافلة واد كبير ينحدر من ناحية المغرب وعليه قصور، وهو وادي ملوية الذي يذكره ابن خلدون: "وينبع من هذا النهر فوهة نهر كبير ينحدر ذاهبا في القبلة مشرقا بعض الشيء ويقطع الشرق على سمته إلى أن ينتهي إلى" بودة" ثم بعدها "تمنطيط" ويسمى لهذا العهد قير وعليه قصورها ثم يمر إلى أن يصيب في القفار ويغوص في رمالها وعلى موضع مغاصها قصور ذات نخل تسمى "رقان" وفي شرق بودة مما وراء العرق قصور "تسابيت" من قصور الصحراء. وفي شرق "تسابيت" إلى ما يلي الجوف إلى قصور "تينكورارين" تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد ينحدر من المغرب إلى المشرق وفيها أمم من زناتة " ويقول ابن خلدون كذلك: أما درعه فهي بلاد القبلة موضوعة حدا في الواد الأعظم المنحدر من جبل درن"[6] من فوهة يخرج منها وادي أم الربيع7 يسيل إلى البسط والتلول وواد دريعة ينحدر إلى القبلة مشرقا بعض الشيء إلى أن يصب في الرمل ببلاد السوس وعليه قصور الدرعة. وواد آخركبير ينحدر إلى القبلة مشرقا ينصب في الرمل جنوب تينكورارين"[8].

مراحل الاستيطان البشري بإقليم توات:

إن العينات المختبرة أثبتت تواجد وتعايش الإنسان في هذه المنطقة منذ فترة ماقبل قبل التاريخية، مثل الكهف الموجود شمال شرق مدينة ***تيميمون***. وما اكتشف بالكهف الموجود **بمقيدن** شمال شرق مدينة تيميمون من رسومات لا تختلف عن التي اكتشفت في **التاسيلي** و**الهقار** وهي عظاما مسقولة تستعمل للقنص وقضاء مآرب الإنسان القديم ومن ناحية أخرى دلت الاختلافات الشكلية على نمط السكنات وعلى إن هناك عدة أجناس تعاقبت على المنطقة بدليل شكل ومضمون ,وفعالية وكذالك

.

وظيفة الأحياء المبنية والمعدة للإيواء عبر الزمن. كما تشير الأبحاث الأثرية والدراسات الانثروبولوجية التي قام بها ايجو بمنطقة أولف نواحي تيدكلت سنة 1955م، وقد توصل هذا العالم إلى إن هذه المنطقة قد عرفت حضارة الحصى والصناعات الحجرية"[1].

1- مرحلة ما قبل التاريخ:

يعتقد جسال GSEL أن توات قد استوطنها شعوبا من أصل بيض ,من حوض البحر المتوسط في القرن 6ق م هذا ,فضلا عن الرومان قد استعملوا طريق توات أثناء مرورهم إلى فغيغ. وبلاد السودان في تلك الفترة، ولا شك انه يقصد الجيتول, لتزامن الفترة التاريخية. ولقد أطلق الجغرافيين الإغريق لفظ "موريزيا"[2] على ليبيا القريبة، أي القسم الغربي من بلاد المغرب كما أطلق الرومان قديما على تونس "أفريكيا" أي البلاد البعيدة كذالك سميت القبائل الضاربة هناك ب"الجيتول[3] ".

أما لفظ "الجيتول" فيشير إلى قبائل ضاربة في ما بين المحيط الأطلسي غرباً حتى فزان شرقاً فهي متعددة الأصول جمعها أطار جغرافي متجانس نسبيا يتمثل في السهول والمرتفعات الجنوبية وحواف الصحراء الشمالية أي الإقليم الوقع بين التل والصحراء المتميز بالاقتصاد الرعوي ومن ثم اشتهر الجيتيليون في تاريخ المغرب القديم بكونهم رعاة نموذجيين حتى شبههم المؤرخ استرا بون" بالعرب البدو وفي وصفه لخيولهم وأبقارهم بأنها كثيرة العدد .

غير أن بعض الجيتيليون كانوا جبليين عتاة تمسكوا بسلسلة الأطلس الصحراوي الموازي لسلسلة الأطلس التلي,حسب معلومات "أسترا بون" الذي أورد أن الجيتيليون أقوى الأمم الليبية على الإطلاق.

وجاء وصف بعضهم عند "بلينوس" بولاية موريتانية الطنجية بأنهم قوم متحركون ينتظرون الفرص لاجتياح أراضي جيرانهم .أما "بومينونيوس"، فيصف أوطانهم. بأنها تمتد غربي مصر وشمال إثيوبيا وأنهم شعب كثير العدد وفي هذا المسار يقول الأستاذ مقدم مبروك[4]:"وقد اكتشفنا بمغارة أغزر بـ "تيميمون" رسومات وكتابات وعظام مسقولة استعملها الإنسان في تلك المناطق ،وهناك علاقة وترابط بين الرسومات والكتابات المكتشفة في "تيميمون" والكتابات الموجودة في"برج باجي المختار".أما "بطلميوس " فقد ذكر، أنهم كانوا منتشرين جنوب الولاية الأفريقية والموريتانية وحدد خريطة بونجير قبائلهم بمحاذاة موريتانية القيصرية ونوميديا.

يظهر من خلال كل ما سبق إن بلاد الجيتول ممتدة عبر خارطة جغرافية تبدأ من المحيط الأطلسي إلى فزان, وهذه الخريطة تمثل إقليما انتقاليا مابين الصحراء الكبرى وشريط التل الساحلي يحتويا على الواحات والوديان والشطوط والمرتفعات التي ذكر "استرا بون". كما انه يشكل إقليما رعويا هاما لبعض الزراعات المحدودة في بعض من جهاته. ومن الوجهة السياسية كان الجيتوليون يمثلون شريحة سكانية مندمجة مع الشمال نسبيا من الناحية الإدارية فهم موريون (مورا) (موريزيا) في الناحية الغربية الجنوبية، و"نوميديون" في السهوب والمرتفعات الجنوبية الجزائرية والتونسية.

2- مرحلة فجر التاريخ واستيطان القبائل الزناتية:

توالت الهجرات الزناتية بنهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي للمناطق التواتية. ليستوطنوا بها فخطوا القصور والفقاقير وقد كان قدومهم واستيطانهم على حافة (واد قير). ويشير بعض المؤرخين المحليين، إن زناتة قدموا من "سلجماسة" إلى توات على ثلاثة عشر مرحلة للاستيلاء على قصور توات وكانت معسكرها أول مرة في بودة وفي المرحلة الأخيرة وجدوا "واد قير" قد جف فسكنوا على شرا فته ونزلوا بقصور "بودة -تيطاف – تسابيت- وأولاد إبراهيم- تسفا وت- تيللان" من قصور توات.

أما تنكورانين(قورارة,تيميمون). فقد نزلوا بها. بعدما قدموا من وارقلان فاستقروا بقصور تيميمون (القصر)، أولاد إبراهيم، وأولاد سعيد، أولاد عيسى، تنركوك، قصر قدور، وأغزر وغيرها من قصور هذه الناحية. ومن الناحية الجنوبية فقد نزلوا في الطريق الشرقي من ورجلان(ورقلة) وعين

صالح, أولف واستقروا في قصر اقبلي، و"تيط" وقد تمكنوا من خط بعض القصور, والفقاقير في الأماكن التي لازالت بها لغتهم لم تندثر خاصة في تيميمون، أولف، تيطاف، وبودة"[1] ثم نشطت الهجرات الزناتية في هذه المناطق خاصة بعد سقوط دولتهم مما دفع بهم الى النزول للصحراء حفاظا لأنفسهم وهربا من بطش المربيين ومآزرة إخوانهم في الجنوب ضد غيرهم من المعتدين عليهم من الأصل الزناتي.

ونفس الشيء للمؤرخ التواتي- محمد بن عبد الكريم البكراوي في كتابه "درة الأقلام" أن زناتة فروا إلى توات بعد انهيار دولتهم في القرن الرابع الهجري (10ميلادي) وأنهم اتجهوا صوب القبلة بعد ان قطعوا ثلاثة عشر رحلة من "سلجماسة" ونزلوا بأرض بودة واستقروا هناك وحفروا الآبار واستعملوا وادي مسعود مرعى لمواشيهم فوجدوا أن المكان امن يصلح للسكن، فسكنوا وتوطنوا توات"[2]

.

ا- زناتة ودورهم في تأسيس القصور:

استنادا لبعض المؤرخين و في مقدمتهم ابن خلدون حين يتكلم عن العمران البشري في المغرب العربي ومنه الصحراء "...وإلى ما يلي الجوف قصور، تيكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد ينحدر من المغرب إلى المشرق وفيها أمم من زناتة"[3]. ومن حيث الموضع كذلك لهذه القصور الذي كان على حافة الوديان الجارية التي نزل بحافتها زناتة، حيث يقول محمده بن عمر البدوي "...قلت وتوات هذه هي قصور وافر عديدة على حافة واد كبير ينحد ر من ناحية المغرب و عليه قصور توات"[4]. وهنا يقصد واد ملوية .ونفس الشيء يقوله ابن خلدون: " وينبع من هذا النهر فوهة نهر ا كبيرً ا ينحدر ذاهبا في القبلة مشرقا بعض الشيء ويقطع الشرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة ثم بعدها إلى تمنطيط ويسمى إلى هذا العهد "قير" وعليها قصورها ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويغوص في رمالها وعلى موضع مغاصه قصور ذات نخيل تسمى **رقان** وفي شرق بودة مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء .وفي شرق تسابيت إلى ما يلي الجوف قصور تينكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واحد وتنتهي من المغرب إلى المشرق وفيها أمم من زناتة"[5].

فالبربر الزناتة هم السكان الأوائل الذين نزلوا بالإقليم واختاروا موضع تلك القصور التي كانت في معظمها على حافة الوديان ، حسب ابن خلدون، فهم الأوائل في الاستقرار بالمنطقة ، ومن ذلك التاريخ بدأت سمات التحضر بها خلاف العرب الذين جاؤوا فيما بعد و ظلوا في حيات الظعن والترحال. ويقول ابن خلدون: أما درعة فهي من بلاد القبلة موضعة جداً في الواد الأعظم المنحدر من جبل درن من فوهة يخرج من واد أم الربيع ويتساهل الى البسط والتلال ،وواد درعة ينحدر إلى القبلة مغرباً الى ان يصب في الرمل ببلاد السوس وعليه قصور الدرعة وواد آخر كبير ينحدر إلى القبلة مشرقاُ ببعض الشيء إلى ان يصب في الرمل جنوب تينكورارين وفي قبلتها ، وعليه من جهة الغرب قصور توات"[6]

وهكذا استمرت هجرة القبائل الزناتية إلى الصحراء والاستيطان فيها بحثا عن الأمن و الأمان، نظرا لبعد الإقليم عن مركز العمران ووقوعه في قلب الصحراء فقد بقي هناك عن مسرح النزعات والحروب التي شهدها المغرب العربي وخاصة بعد رحيل الفاطميين عنه لذالك فقد اتخذه كثير من الأهالي ملجأ لهم فرارا من وجه أعدائهم أو هربا لعدم رضاهم عن الأوضاع السياسية عندهم وفضلوا سكن صحراء على الخضوع لحكامهم. فعند منتصف القرن الثاني عشر ميلادي وبعد قيام دولة الموحدين وما نتج عن ذلك من تعقب للموحدين للفرع الزناتي من القبائل البربرية دفع بأعداد كبيرة من قبيلتي "مغراوة ،وبني يفرن" بعد قتل أميرهم مسعود بن وانة المغراوي إلى الهجرة للصحراء حيث نزلوا بناحية القورارة ،ووادي الحنة"[7] بالإقليم التواتي"[1].

2

- 4

.

3
7

فالبربر هم أول من قطن توات في الألفية الأولى وعمروا بها لاسيما الفرع الزناتي منهم، مثل "بني عبد الواحد، وبني مرداس، ومصاب، من بني مرين وذلك قبل دخول الإسلام لبلاد المغرب بسنوات طويلة"[2].

ب- هجرات القبائل العربية:

تجمع الدراسات التاريخية حول منطقة توات والتي هي جزء من صحراء المغرب، على أن سكانها هم برابرة لكنهم شهدوا هجرات عربية متتالية مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ثم" شهدت موجات هجرات القبائل الهلالية التي عربت سكانه عبر التاريخ نتيجة استيطانها بإقليم توات. فبعد إن تم فتح مصر انطلقت القبائل العربية لفتح بلاد المغرب وتمكنت من السيطرة على برقة و زويلة، وفزان، حيث استقر بعض جندها يدعون إلى الإسلام. وفي27ه/647م قام العرب بأول حملة حقيقية على افريقية بدعوة بقيادة عبد الله بن أبي سراج دعا إليها الخليفة عثمان بنفسه،فتقاطر الناس من مختلف القبائل للاشتراك فيها وأكن أكثرهم من القبائل التي تقطن بالمدينة"[3]. وان كان ابن خلدون على خلاف ذلك يرى بان القبائل العربية ألحقت خرابا بالقصورالتواتية حيث يقول:"إفريقيا والمغرب لما جاز إليها" بنو هلال وبنو سليم" منذ اول المئة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها دمارا وعادت بساتينها خرابا كلها بعد ما كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمران تشهد بذلك آثار العمران فيه من العالم وتماثيل البناء وشواهد القرى المدمرة"[4]. فان الإسلام كان دينا حضاريا والعرب حاملين لواءه في إقليم توات أسسوا مراكز عمرانية وتجمعات حضرية على أسسه المقدسة المتمثلة في الزوايا والأضرحة.

هذه المراحل لأشكال الاستيطان الإنساني لم تحدث بين عشية وضحاها وإنما استغرقت كل مرحلة قرون عدة، ورغم تباعد المراحل الزمنية فان هناك عامل أساسي واحد تعلقت به وهو الماء، الذي يعتبر عامل أساسي في وجود تلك التجمعات، فقد لعب نهر" جير قير "(**الساورة**) دورا أساسيا في الحفاظ على حضارة توات القديمة لاسيما تلك التي تركت لنا أثارا تتمثل في الحيوانات المتحجرة.

عوامل ظهور القصور في الصحراء (إقليم توات):

1- **الحركة التجارية:** تنقسم إلى مرحلتين هما: مرحلة ما قبل الفتح العربي الإسلامي ومرحلة ما بعد الفتح العربي الإسلامي. ففي المرحلة الأولى شهدت الصحراء الإفريقية ازدهار اقتصاديا بفعل حركة النشاط التجاري التي عرفتها لمدة زمنية طولية، وتقريبا منذ ثلاثة أو أربعة آلاف سنة الأولى قبل الميلاد و إلى غاية القرن السادس عشر مثلت إمارات ومماليك إفريقيا الغربية قطبه الجنوبي في العصر الوسيط، و مدن وحضارات ضفتي البحر المتوسط القطب الشمالي، و بين هذين القطبين كانت هناك محطات لهذه القوافل التجارية لتزود والاستراحة والمقايضة، شكلت -هذه المحطات – في ما بعد تجمعات حضرية عرفت بالمدن و القصور، أن النقوش المحفورة على الصخر فهي أدلة عن انتظام الحركة عبر الصحراء، اذ تعطينا صورة عربة ذات عجلتين يجرها حصان، وهي العجلة الحربية وأقدم تاريخ لاستخدامها يرجع لاشك إلي دخول شعوب مصر (الرعاة، المكسوس) إلى الشام في القرن السابع قبل الميلاد. و تاريخ استبدال الفرس بالعربة كان في القرن الثالث قبل الميلاد، ويعزى استعمال العربات إلى شعبين كان يقومان بهذا النشاط وهما (شعب الجرامات)الذي كان يعيش في فزان وشعب (الفاردتسسين) الذي كان يعيش في غرب الصحراء"[5]. وفي القرن الثاني ق.م حلت روما محل قرطاجة في استعمال سهول طرابلس ودخلت في حرب مع شعب (الجارامينت) (عشرين ق م إلي 86 بعد الميلاد) مما أدى إلي تدهور لتلك التجارة، ثم أصبحت العلاقات ودية بينهما بعد ذالك، وقد كان الرومان يستوردون العاج والرقيق في تلك الفترة.

ب- مرحلة الفتح العربي الأسلامي(التجارة العربية):

.

4 -

تدهور الحكم الروماني في شمال افريقية في القرون الوسطى في القرن الرابع الميلادي اختفت هذه التجارة ولم تستعد نشاطها حتى الفتح البيزنطي لشمال أفريقيا سنة 533م ثم كان الفتح العربي لشمال أفريقيا وأثره البالغ على شمال أفريقيا و على نشاط هذه التجارة بشكل لم يسبق له مثل من قبل، لم يكن مجيئهم للإغارة كما فعل البربر قبلهم ولا للإقامة كما فعل اليهود حيث شق عليهم العيش مع الرومان،حيث كان التجار العرب يحملون رسالة الإسلام1.ولما جاء العرب في القرون الوسطى عرفوا أبار الصحراء لما عبروا ذلك القفار.

نتيجة إلى إن وسائل الإنتاج الزراعي والصناعي كانت محدودة ببلاد المغرب فقد أمعنت القبائل العربية في طلب النقلة والارتحال وساعدها علي ذلك انتشار الإبل، والخيول لذلك لا نندهش إذا وجدنا بعض القبائل العصر الذي نتصدى له بالدراسة تتوغل في تنقلها حتى تدرك نهر السنغال. " وفي هذا المجتمع الذي يشتد فيه التناحر بين السكان وتكثر الهجرات، وتثور الفتن وتنتشر الغارات لا يتعلق السكان بالأرض على الصورة التي نجدها في البيئات السهلية ولا يدافع الناس عن وطن معين ينزلون فيه بقدر ما يدافعون عن الأسرة، والعشيرة والقبيلة فأصبحت القبيلة محور الحياة في المجتمع"[2] .

فالقبائل البدوية العربية والبربرية منها في الصحراء كما في الهضاب لا يستطيعون الاعتماد على موارد الإقليم النازلين فيه فيضطرون إلى التنقل والترحال، انتجاعا للكلأ وطلبا للعيش الميسور الذي يتوفر في جهات أخرى أوفر ثراء. فإذا اقبل الصيف اشتد الجفاف في الجهة الجنوبية أو شبه الصحراوية، وجف العشب وقل الماء فلا يجد السكان مفرا من شد الرحيل صوب الشمال حيث يتوفر المطر ويطيب المرعي وتتيسر الحياة، فإذا جاء الخريف وأوشكت الأمطار إن تبدأ عادت جموع المهاجرين مرة أخري الي ديارهم لقضاء فصل الشتاء ويقضي السكان هكذا حياتهم بين رحلتي الشتاء والصيف، وأهمية هذا الدور الاقتصادي في حركة "الموالين" في عموم الصحاري في التوجه شمالا في الصيف، بعد إن تسمن الشياه، يتم الحصاد إلي مدن الساحل حيث المناخ اللطيف. فهم يبيعون لكي يشتروا ما هو ضروري لهم. لتبدأ رحلة العودة نحو الصحراء جنوبا، مع مطلع فصل الخريف حيث تتوفر مساحات الرعي والمناخ الدافئ. هذا وقد اشتهرت القبائل العربية بهذه العملية نتيجة لظاهرة البداوة القائم على الترحال و الحركة المستمرة وراء العشب و الكلأ، كثيرا ما كانت وراء سلب قبيلة لأخرى مراعيها و أرضيها، فرحلة الشتاء و الصيف كانت رحلة موسمية تجارية ورعوية. "هذه ظاهرة تحدث في كل بيئة مشابهة خصوصا في شبه الجزيرة العربية مصدر القبائل العربية المهاجرة الي المغرب"[3]. وقد اشتهرت قديما اكبر القبائل العربية بهذا المهرجان الاقتصادي الكبير وهي قبيلة قريش التي الفت رحلت الشتاء والصيف، الأولى كانت لليمن والثانية (رحلة الصيف) للشام، ولا شك أن هذا التنظيم الفصلي كان تابعا لواقع بيئي وايكولوجي بعد وان يكون الماء والكلأ شريان الحياة البدوية.

و يذكر ابن خلدون قبيلة معقل وهى إحدى القبائل العربية المهاجرة لصحراء بلاد المغرب انتجاعها لحياة الظعن "الترحال في إقليم توات" : "وكذالك تعود عرب عبيد الله للقيام برحلة الشتاء بنا جعتهم الى قصور توات بلد تمنطيط بالصحراء وربما شاركهم في بعض الأوقات عرب بني عامر بن زغبة الذين يكتنفون من التوغل في الصحراء عند وتيكورارين لا يزيدون ، وبلغت رحلتهم هذه من الشهرة حتى يعود التجار الوافدين من الأمصار والتلول أن يرافقوهم الى ماشيتهم ، ثم يزيدون الي بلاد السودان"[4] . فالقبائل العربية المكونة للمجتمع القصوري قد تسربت عبر طريق التجارة صوب الجنوب،عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في الصحراء، ويضيف ابن خلدون: وأصبحت القبائل العربية من المعقل تنتجع الرمال إلى مواطن الملثمين من (لمتونة و مصوفة و كدلة جدالة) إلى نهر السنغال ، وهكذا كانت مدن "اوليل" "و ادرار" و "ادوغشتن" من مجالاتهم خصوصا و أنها الأبواب المباشرة على تجارة السودان .

---

[2] -

[3] -

-(المقدس) الحركة الصوفية: أنتشرت الحركات الصوفية والزويا بأقليم توات في العصر الوسيط كغيرها من حواضر المغرب الأسلامي، والتي ساهمت في نشر الإسلام والدعوات ألإصلاحية فيما بعد، التي قام بها مجموعة من الصلاح و الزهاد لملائمتها لذلك وطبيعة المجتمعات الصحراوية. حيث يقول ابن بابا حيدة في كتابه"القول البسيط في أخبار تمنطيط: "اعلم أن تواتنا هذه ارض جدب وقلة مع بركة وقناعة وأمان وعافية،تتهيأ فيها العبادة والديانة والرياضة والزهادة، ولذلك كثر فيها الأولياء والصالحون. إن قل فيها الرزق فقد كثر فيها الأمان والأيمان ومن سعادة الأمور،أن يرزقك الله ما يكفيك ويمنعك مما يطغيك وفي الاستغناء والتكاثر حلية عظيمة"[1]، ويقول مصطفى عن القبائل المهاجرة لمنطقة المغرب العربي "فإلى جانب المظهر الدنيوي الصاخب للقبيلة العربية ببلاد المغرب، كان هناك مظهر آخر في حياة تلك القبائل وهو مظهر ديني مقدس أخلاقي تجلت صورته بوضوح في حياة تلك القبائل العربية ببلاد المغرب ،هناك مظهر آخر في حياة تلك القبائل وهو مظهر ديني(المقدس) أخلاقي تجلت صورته بوضوح في حياة بعض رؤساءها، وأفرادها الذين كرسوا حياتهم على نشر الدين والعلم بإقامة الزوايا والروابط والمساجد في مختلف أنحاء المغرب. ويلاحظ أن هذه النزعات الصوفية الإصلاحية لم تلبث أن أخذت تزداد انتشار بمرور الوقت بين أفراد القبيلة وأهليهم ومريديهم، و في القرن الثامن الهجري أصبحت تشمل رئيس القبيلة ومعه أتباعه التي تعاهده على إتباع طريقته ونحلته"[2].

إذا كانت بعض القصور التواتية لاسيما القديمة منها التي تحمل اسم زناتي (بربري) فان القصور المنشاة في الفترة التاريخية ما بعد ق8ه. المؤسسة من طرف القبائل العربية من المتصوفين والزهاد، وأولياء الله الصالحين، التي تحمل اسم عربي وكثير ما يأخذ القصر أو التجمع في أوله لفظ"زاوية" وتنسب إلى مؤسسها مثل:(زاوية الرقاني، زاوية سيدي حينون، زاوية سيدي موسى، زاوية بلال،)، "حينون"، "موسى"، "بلال"، "الرقاني"، هذه أسماء لأشخاص، قد يكونوا رؤساء قبائل أو مؤسسوا طريقة أو زاويا، وقد يجمع بين الاثنين كرسوا حياته على نشر العلم والدين وإغاثة الملهوف والمحتاج ومساعدة التجار والمسافرين ضد قطاع الطرق، وإقامة الزوايا والروابط والمساجد في المغرب ومساهمته في ركب الحجيج المارين بالمنطقة.

انتشرت الطرقية في الصحراء بحكم عزلتها وبعدها عن المعاهد العلمية وخلوها من وسائل التنوير الحديثة انتشارا واسعا، حيث كان في وقت من الأوقات، انه لا توجد تكاد تكون عائلة صحراوية ولا ترتبط بطريقة أو تنتمي إلى مرابط من المرابطين الموجودين في كل مكان، وكثيرا من الطرق المعروفة أسست لها فروعا و بنيت لها زوايا في الصحراء"[3]. أصبحت في نهاية المطاف تجمعات بشرية في قصور وقصبات، يسكن غالبيتها المرابطين. "ومع مرور الزمن أصبحت الطرق أندية مغلقة على نفسها تعتمد سلما من القيم والتقاليد محاطا بالسرية والتكتم والنظام يدور كله حول قطب، هو شيخ الطريقة الذي يحلي نفسه بصفات الأولياء وكثيرا ما يدعي علم الغيب والتحكم في المقادير"[4]. يختار مكانا هادئا في السهل أو الجبل يتخذه مكان للتعبد والتنسك فيه بعيدا عن ضوضاء الناس و قد يقيم فيه زاوية للإطعام، ومنبع لبعث كرامته وبركاته على سائر المنطقة المحيطة به. فتصبح فيما بعد مكانا للتجمع البشري والعمران البشري لاسيما لمريده وأحفاده بعد هوته تصبح تلك الأرض أو الضاحية التي كان يتزهد ويتصوف فيها مكانا لبناء مساكنهم تبركا بها، و غالبا ما تمعلم بمبنى أو ضريح ذلك الولي وإقليم توات شهد مجموعة من الأضرحة كانت قصدها أولياء أو شيوخ متصوفون قادمون من المغرب أو مكة المكرمة ونزلوا بأرض توات هنا وهناك. مثل الولي "سيدي اعمر" بتمنطيط. ونتيجة لهذه الفيسفساء الجينالوجية التي أستوطنت أقليم توات عبر مراحل التاريخ المتعاقبة، عرف أقليم توات أنواع متعددة من العمارة حسب ثقافة كل جماعة أجتماعية مستوطنة.

1

2

إن إنتشار مئات التجمعات السكنية العمرانية المعروفة بالقصور. في هضاب وصحراء الجزائر، يعود أقدمها إلى القرن الرابع الميلادي،استمرار ازدهار هذه القصور كان مرتبط بالتجارة حتى لسنوات مضت حيث يلاحظ تدهورها نتيجة هجرة السكان منها.

لم تبن هذه المدن والقصور نتيجة لرغبات شخصية، بل وجدت وازدهرت لضرورات حضارية آنذاك."أنشأت هذه القصور من طرف القبائل الرحل التي كانت تعتمد على طرق تنقل منتظمة ما بين عمق الصحراء ومدن الساحل والتي بدورها ساهمت في ازدهار وتطور المدن الصحراوية، فرحلت الشتاء إلى عمق الصحراء وراء المناخ الملائم والمراعي كان يعمل على جلب المؤنة والاستعداد للرحيل المعاكس للشمال بعد الرعي الجيد للماشية مع مطلع الصيف،هذا التنقل كان يستدعي تواجد محطات راحة وتمويل، محطات للتبادل التجاري أيضا، وكان ذلك تفسير ازدهار القصور الصحراوية"[1].

الأودية المائية:

من خلال موقعه في غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزأ من الصحراء الأفريقية، يحتوي هذا الإقليم على أعداد ه ومدن وقصور ألاقليم تمتد في سهول رملية جنوب العرق الغربي الكبير، وحول هضبة تادمايت من جهاته الثلاثة الشمالية والغربية والجنوبية. تنتهي باللأقليم ثلاثة أودية تصب مياهها فيه لتغذي الفقاقير والأبار بالمياه التي بعثت الحياة في هذا الجزأ من الصحراء

هذه الأودية هي واد" **أمقيدن**" الذي ينتهي بمنطقة تيدكلت الذي هو أمتداد لواد" **سفور**" الذي ينبع من المنيعة ويتجه غربا حتى تتلاشى معالمه بعض الشيء ثم يظهر من جديد باسم واد " **شيدون**" حيث يستمر في سيره غربا إلى أن ينتهي في منطقة قورارة مكونا سبخة تعرف باسم سبخة القورارة، أما الواد الثانى وهو" **وادي مسعود**" فيتكون من اتحاد وادي "**جير**"مع وادي"**زوسفانة**" عند منطقة " **فقيق**"، ثم يتجه نحو الجنوب وهنا يطلق عليه اسم وادى "**الساورة**".

- ما هي العمارة الصحراوية(القصر):

القصر في المناطق الجنوب الغربي الجزائري هو قرية محصنة أو بالأحرى مجموعة كتل سكنية متراصة، ومتلاحمة فيما بينها يقطنها مجموعة افرد أو مجموعة عائلات موسعة، كثير ما تنتمي إلى أصول عرقية واحدة وطبقات اجتماعية مشتركة، وقد تكون مختلفة ، يحيط بهذه التكتلات سور مدعم بأبراج ركنية (في الزوايا)، وتتخلله مزاغل وقد تخلو بعض القصور من ذلك، ليعوض عنه بجدران البيوت الخارجية ،لتشكل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكل إرجاءها.

تنسب القصور عادة إلي ولي صالح باعتبار مؤسس أو صاحب الفصل في لم الشمل مثل سيدي عيسي وسيدي سليمان بن علي ب(أولاد أوشن) أدرار، وسيدي خويلد بورقلة وسيدي راشد وسيدي عمران بواد ريغ ...الخ. وقد تعود التسمية إلي الاتجاهات مثل قصر قبلي الجنوبي والقصر الزعراني الشمالي أو إلي لون مادة البناء مثل القصر الأبيض والقصر الأحمر ب "ناحرونة". كما قد ينسب إلي القبيلة أو الجنس المستقر به مثل قصر أولاد يعقوب ، أولاد احمد أو أولاد داود بتمنطيط (ادرار)،وقصر أولاد موسي وأولاد سعيد وقصر قورارة (بتيميمون)"نسبة إلي بن ورقلان " وقصر بن عباس وقد ينسب إلي الطبقة الاجتماعية مثل قصر العرب ، وقصر المرابطين وقصر العبيد "وأحياننا يرفق بكلمة القصر بصفة من الصفات الدالة علي موقعه أو قدمه أو حداثته أو كبره مثل القصر التحتاني والقصر الفوقاني والقصر القديم والقصر الجديد والقصر الكبير،وأحيانا يشتاق اسمه من شكله وينسب إلي أشخاص وأشياء أخرى مثل قصر "حويطة العسايفية" وقصر "الخيران" وقصر "الخنق" ، قد تحتوي القصور بداخلها علي قصبة وقصبتين محصنتين ومسجد جامع عادة ما يطلق عليه بالجامع العتيق"[2]. كما يشمل القصر المرافق الضرورية مثل السوق والدكاكين والرحاب.

يرتبط القصر عادة، بالجانب ألفلاحي ارتباطا وثيقا، ولذا غالبا ما تحيط به البساتين الخضراء باعتبارها مصدر اقتصادي رئيسي للسكان كما أنها تمثل حاجز منيعا للتقليل من حدة العواصف الرملية، بالإضافة إلى تكسير التيارات الهوائية وتارة يكون أحيانا القصر بأطراف غابات النخيل أو

حتى بعيدا عنها وذلك بسبب كون الأراضي الزراعية ذات قيمة عالية، فيفضل استعمالها للزراعة بدلا من السكن ،كما ذكرنا، فان الهدف الأساسي من بناء القصر هو تخزين المنتجات الزراعية والمواد الغذائية للقبائل البدوية الرحل أو المتاخمة له.

أنماط العمارة القصورية في توات :

1- العمارة الإفريقية:

ظهر هذا النوع من العمارة في المرحلة الجيوتيلية (سنة100قبل الميلاد) فالجيتوليون الذين استوطنوا إقليم توات قديما، لاشك أنهم أسسوا حضارة وأقاموا مدن ونحتوا سماتها المعمارية المميزة. وهذا حسب بعض المؤرخين الإغريقيين والرومان أمثال "هيرودوت" وهم سكان بيض أصحاب المهن، أولائك السكان الذين كانوا يسوقون الذهب من المغرب (شمال إفريقيا) نحو السودان لذلك سميت طريق الذهب. ويرى الأستاذ ندير معروف أن السكان الأصليين لمنطقة " توات" هم جيتوليين كانوا قد تأثروا بعمارة السكان الأفارقة لدليل انه وجد أصنام مماثلة على ضفاف واد النيجر".[1]ومن سمات العمارة القصورية الشكل المخروطي والهرمي للأبراج والأضرحة، وقد تأثرت القصور الصحراوية معماريا بمدن الحضارات الإفريقية.

تعتبر المدن ظاهرة اجتماعية قديمة في الحضارة الإفريقية. فقد نشأت المدن الإفريقية منذ مئات السنين قبل ان ينقض الاستعمار الغربي على قارة إفريقيا. وظاهرة المدن قديمة وأصلية بالنسبة لوسط وجنوب قارة أفريقية حيث نلاحظ تركز المدن القديمة كان غربا إفريقيا في المنطقة المتاخمة للصحراء الكبرى ومن أمثلة ذلك مدينة كانوا في نيجيريا التي يبلغ عمرها أكثر من ألف عام وحضارة قبائل "اليوروبا".

وقصور العمارة الأفريقة هي عبارة عن مباني شيدت من حجارة من ضخمة من الملح المخلوط بالطين وهي ميزته الأساسية، أما مخططه فهو غير دقيق لعدم وجود السور المحيط به ، وحسب "إيشالي" شاهد هذا النمط في منطقة جبلية تحصن ذلك التجمع السكاني بدلا من السور مثل منطقة الهقار، يضيف الباحث أن النوع من القصور ظهر في ما بين (القرن 7-9هـ/13-15م).

2- العمارة البربرية:

وهناك من يسميها ب"العمارة البرمكية"[32]، تتموضع في مكان مرتفع تبنى من الحجارة والطين.من المواد المحلية التي تبنى بها القصور عموما وهي الطين والحجارة لكنها تختلف وتتميز في هندستها الداخلية وفضاءها الداخلي فهي تتكون من أزقة شديدة الضيق والتعرج. ومساكنها متصلة مباشرة بالسور الخارجي. وتخلوا من الرحبة التي تتوسط القصر وبها أبراج ركنية في الزوايا. ومن أمثلتها.قصر" بوعلي"(بلدية زاوية كنتة) وقصر "سالي"، "تيمادانين"، "تاوريت".(بلدية رقان) وتظهر فيها السمات الدفاعية بشكل بارز.

وتتميز القصور البربرية بأبنية ضخمة عادة ما تبني فوق مرتفع طبيعي يحيط به سور من الحجارة الممزوجة بالطين، و غالبا ما يكون شكله دائريا، و ما يلاحظ على هذا الصنف إن السور يلامس حواف المرتفع الصخري ، المرتفع المشيد فوقه"[4]. أن هذا النمط يعتبر مكان للتخزين المنتجات الزراعية و ملجأ للفلاحين.

3 - العمارة اليهودية:

تكون في الغالب ذات شكل دائري، تبنى من نفس بناء المواد المحلية الموجودة(الحجارة+ الطين) وتختلف في شكلها عن العمارة البربرية بشكلها الدائري والبرج الواحد الذي يتوسطها وهي عبارة عن قلعة و تتموضع فوق مرتفع تتكون من أزقة رئيسية وأخرى ثانوية ومساكنها بها حجرات تحت أرضية (دهاليس) يوجد هذا النوع بقصر مثل قصر"تاظولت" بزاوية كنتة وفي تمنطيط لاحظنا هذا النوع بقصر "أولاد ميمون".

وقد عرفت تمنطيط بعد القرن الأول ميلادي(100م- 600م) هجرة بعض العناصر اليهودية وذلك اثر نكبتهم على يد القائد الروماني (ثراجا traga) وبنوا قصورا ونشروا ديانتهم في أواسط السكان الأصليين وقد عثر في عام 1205, وفي إطار الأبحاث التي كانت تقوم بها فرنسا عثر على شكل صنم يعود لليهود"[1]. ومن الثابت تاريخيا أن قصر أولاد همالي وقصر أولاد ميمون وهما إحدى قصور تمنطيط التي أسسها اليهود مابين الفترتين التاريخيتين 2و6 م." و يدل على ذلك المعبد اليهودي في قصر أولاد أهمالي به عثر على تسجيل منحوت على حجر، قد يكون نحت على الأصح سنة 517 م. وقد حول المعبد في القرن 16م إلى مسجد من طرف القبائل العربية التي سكنت فيما بعد". كما وجد في مدينة تمنطيط حجرة مكتوب عليها بالعبرية في احد المنازل بقصبة أولاد داود "[2].

ونمط العمارة اليهودية ، او القصور اليهودية تتميز حسب **العالم "أشالي"** تتميز بكونها مبنية فوق مرتفع طبيعي مع ملاحظة سور محكم البناء يحيط بها، ونادرا ما يحتوى السور على برج للمراقبة يتقدم المدخل الرئيسي للقصر، يتخذ السور شكلا دائريا ، و ذو أضلاع منحنية ومتعددة الرؤوس، وموقعه الجبال و المناطق العالية التي يتم تهيئتها، وهي مبنية بالحجارة و الملح، دائري الشكل؛ هذا النمط من القصور يعتبر الأقدم من نوعه و اليهود هم المؤسسون الأوائل لها وكانت عبارة عن قلاع و حصون، وأن اشتمل على هذا النوع من القصور على معالم دفاعية كاختبار الموقع و المرتفع و الأبراج فأنه يخلو من الفندق لان الفندق من السمات المعمارية الإسلامية .

وقد حاول الباحث " إيشالي J.G.Echallier " إيجاد تصنيف لها من حيث الشكل ، وقد اعتمد "إيشالي" على العديد من المصادر لمن سبقوه من الباحثين ، أضافت الى دراسته الموقعية و التي اشتملت على 333 قصرا، وبصفتنا ساكنين القصور و الباحثين و قيامنا بجولات ميدانية بقصر تمنطيط، في مجاله حاولنا إضفاء نوع من التعديل لتصنيف " إيشالي"، وبذالك مكنتنا من تصنيف القصور إلى ستة أنماط وهي كالتالي:

- العمارة العربية الإسلامية:

وقد استقطبت قصور **تمنطيط** أغلب القبائل العربية و التي نزحت إلى توات بصفتهاعاصمة يتشابه مع الأنماط السابقة :القصور الصحراوية ومن أهم القبائل التي أثرت تأثيرا واضحا في عمارة في مواد بنائه و موقعه ، و يتميز قصورهم بكونها مستطيلة الشكل أو مربع، محاط بسور و خندق أحيانا. يخلوا هذا النمط تماما من الأبراج الركنية عدى برج أو اثنان للمراقبة ويتم الوصول للقصر عبر الجسر لان الخندق يحيط به من كل الجهات ، عمارته متقنة وذو زوايا حادة قائمة، ولاشك أن هذا النمط ظهر بعد الفتح الإسلامي العربي لبلاد المغرب ، و هجرات القبائل الهلالية للمنطقة ، في القرن .السابع الميلادي- الأول هجري.

ه- النمط الخامس: تنعدم القاعدة الصخرية التي تميز الأنماط السابقة وتقنية البناء غير متقنة وينقسم بدوره الى قسمين:

1- يتألف من منشئات حجرية يحيط بها سور مربع أو مستطيل الشكل خال من الأبراج.

2- يشبه السابق ويختلف عنه في احتوائه على أبراج ركنية مربعة أو هرمية الشكل.

لكن هذا النمط الذي يقسمه " إيشالي" إلى قسمين يعتبر نمط واحد،فالقصر الذي ليس له أبراج عادة ما يكون بجوار قصر أخر يبنى لضيق القصر الأول والأبراج ليست منعدم فيه لان أبراج القصر الأول هي المستعملة في المراقبة للقصر الأول والثاني الذي عادة ما يكون متداخلين مثل ما هو الحال في بعض قصور تمنطيط.و لقد ظهر هذا النوع من القصور – حسب إيشالي – في نهاية القرن 6هـ/1210م.

اغلب الظن أن هذا النوع ظهر مع اكتشاف الفقارة لان هذا النوع من القصور يفتقد للقاعدة الصخرية(المرتفع)، الهضبة أو الجبل. الذي كان أساس كل بناء في الصحراء ليس لمهمة دفاعية، بل فرضتها ضرورة ايكولوجية وهي ظاهرة فيضان الوديان وصعود المياه في تلك المنطقة انذاك ،لكن

.

مع نقص المياه وتراجع هذه الظاهرة و طول فترة الجفاف بالمنطقة أديا إلى اكتشاف الآبار، والآبار المتصلة ببعضها البعض مشكلة ما يعرف بالفقارة، و استعمالها كتقنية لسقي المزروعات و استعمال الماء لوظائف متعدد في القصر، يتطلب إن يكون القصر في موقع متساوي مع الأرض أن لم نقل منخفض قصد إمكانية جر أليه الماء عن طريق ساقية ومنه إلى الواحة، لذا جاءت هذا النوع من القصور بدون مرتفع صخري.

و- النمط السادس: مبني بالأجور بالطين الغير المشوي ، ذو شكل مستطيل، وقد يضم أروقة و دكانات للاستراحة ، وينقسم إلى قسمين هو أيضا.

1- مبني بالطين ويحيط به سور و خندق مربع خالي من الأبراج وممشى السور.

2- يتميز بأبراج ركنية و ممشى السور.

هذان يعتبران نمط واحد، وقد يتلاحم و يتداخل قصران أو أكثر، ينتميان إلى أنماط مختلف مكونة قصر واحد ، وكرونولوجيا ظهر هذا النمط في القرن التاسع هجري /15م. عموما مادة البناء لا يمكن الأخذ بها لتأريخ لهذه القصور لان مادة البناء مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيئة المحلية ، ولسنا هنا هدفنا التأريخ للقصور و الوقوف على كرونولوجيتها بقدر ما يهمنا هنا التأثيرات (الغير الطبيعية) الثقافية هي التي صقلته عبر الزمن شكله العام إلى ما هو عليه اليوم. فمن الشكل الدائري إلى المربع و المستطيل ، الذي يرجع إلى ما حملته مخيلة المهاجرين لتلك المنطقة أقباط وسودانيين و مسلمين باختلاف عهودهم موحدون ، مرابطين، مما أنتج عمارة تحمل طابع أولئك الذين استوطنوا إقليم توات.

إن شكل القصر وتنظيمه الداخلي أمر قد يفرضه الموقع الجغرافي أكثر مما تفرضه عوامل أخرى، و الملاحظ أن الموقع يتم اختياره للقصر لعوامل دفاعية أما شكل القصر فيعتقد " إيشالي" أن الشكل الدائري هو الطراز المحلي في حين يرجع أصل الشكل المستطيل إلى المشرق حيث تبني أضلاعه وفق لمعطيات فلكية مدروسة وهي ظاهرة غير معروفة في الصحراء"[1]، وأيضا لتعقد تقنية الشكل المستطيل، حيث أن الزوايا تستلزم تقنية ومواد كثيرة مقارنة مع الشكل الدائري، و الشكل الدائري إضافة إلى كونه اقتصادي ولضرورة دفاعية حربية، فالشكل الدائري يسهل الدفاع عن الأسوار أكثر مما لو كان الشكل مربعاّ أو مستطيلاّ.

الخاتمة:

نشأت عمارة الطين في أقليم توات منذ قديم الزمان وجرب فيها الإنسان التؤاتي مختلف الإشكال حتى استقر على الأفضل في حمايته من لهيب الصيف وبرودة الشتاء وحماية محارمهم من الغير بتوزيع الفراغات السكنية بطريقة معينة، ليستقر الشكل المعماري لعمارة الطين ليلبي حاجات المجتمع حتى وقت قريب وجرب فيها الإنسان العربي مختلف الأشكال حتى استقر على الأفضل في حمايته من لهيب الصيف وبرودة الشتاء. أن ظروف المناخ والإقليم هي التي فرضت متطلباتها وتجاوب البناءون في ملائمة أبنيتهم لهذه الظروف كما ساهمت ظروف الحرب والسلام، ودوام الاستيطان من عدمه، في تحديد شكل البناء وارتفاعه والمواد التي استخدمت في بنائه البيئة العمرانية التقليدية ليست من تصميم مهندس معماري وربما لم يخططها مخطط أنها نتاج لعمل تصميم خلال قرون من التجارب المستمرة خلال قرون الأجيال المتعاقبة التي سكنتها،وبتطوير أسس التعامل مع جميع العوامل سواء كانت مناخية أو اجتماعية كانت أو مادية،وكانت البيئة التقليدية نتيجة هذا التفاعل،وهي بيئة ثبتت بالتجربة، وأنها ملائمة.

زيادة على كل هذا أنها عمارة وظيفية بجميع فضاءاتها وأشكالها المعمارية جاءت لتؤدي وظيفة معينة فالوظيفة هي المحدد للشكل، ولا تكاد أن تخلو من شكل أو فضاء لا يؤدي وظيفة معينة وبذلك يقلل بها الجانب الزخرفي أو المعطى الجمالي وينعدم في غالبيتها وهذا ما اكتشفناه عند تجولنا بالديار القديمة للقصر تمنطيط والقصور التواتية عامة، وما استنتجناه عن قرأتنا للعمران في الصحراء العربية.

المصادر والمراجع:

[1]-- مارك كوت اختيار فضاء اختيار مجتمع ، ، مجلة معالم ، المدينة وتنظيمها الحضري ، العدد رقم03،دار النشر مارينور، الجزائر، ،سنة 199 ،ص226.

2- فرج محمود فرج. إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. الجزائر1977ص01

[1]- تينكورانين تعني باللغة الامازيغية المعسكرات وهكذا يسميها ابن خلدون وهي منطقة مأهولة بالسكان يوجد بها ما يزيد عن تسعين قصرا حسب الرحالة الألماني "جبرا ر ها فلس" وحدائق النخيل – انظر حسن الوزاني . وصف أفريقيا ج2.ص:133,وتعرف بمنطقة "القورارة" عاصمتها تيميمون.

4- تيديكلت: مصطلح بربري تعني راحة اليد (الكف). تقع أقصى الشرق من الواحة التواتية وبين الهقار"بلاد الطوارق".وتوات تنتشر بها واحات النخيل وحوالي50قصر وتنقسم تيدكلت الى شرقية عاصمتها "عين صالح" وغربية عاصمتها "أولف

5- فرج محمود فرج، مرجع السابق.

6 بن خلدون عبد الرحمان، ، ج6،.مرجع سبق ذكره.ص69.

-7 - . الحمادة:عبارة عن هضاب صخرية تمتد في الفيافي الصحراوية مائلة السطح سواء في إقليم قصار السوق والمناطق المشكلة لها.انظر: P. Devoirs,le Touat étude géographique et Médicale archives de l'instituteur. T.XXV.N°3-4. Septembre-De'cembre.alger1947.P224

[8]- ا لعدوة: يطلقها الاندلسيون على المغرب وكذلك على بلاد الأندلس..

.9- جبل درن:جبل في المغرب مشهور يعرف بسقنقور وهو جبل عظيم معترض في الصحراء في قبائل كثيرة من المصادمة.ويقول البكري انه متصل بجبل الاوراس وينبع منه نهر عظيم. انظر- قومي محمد- تحقيق لمخطوط الشيخ محمد بن عمر االبداوي الموسوم ب " نقل الرواة فيمن ابدع في قصور توات.جامعة وهران كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية قسم التاريخ.وعلم الآثار.مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس سنة2005ص-37.

10- أم الربيع: نهر كبير ينبع من الأطلس بين جبال عالية في حدود تادالة.ناحية فاس انظر.حسن الوزان وصف أفريقيا ج2- مصدر سابق.ص247.

11- ابن خلدون المرجع السابق ،ص219-120.

[1]12 حاج احمد الصديق ، التاريخ الثقافي لإقليم توات من ق 11 هـ إلى ق 14 هـ .(ق 17م - 20 م)، دار الثقلفة لولاية أدرار،سنة2003،ص24.

[13]- لقد كتب المؤرخ الإغريقي "اليفيوس".(مورزي) وقد تحولت التسمية إلى "مورى"كانت شائعة في عصره.وحسبه أن موري كانت تستعمل من طرف الرومان والأهالي وقد عزف عنه واستعمل لفظ "مورزي".انظر مقدم مبروك- الاستيطان والتوطين. مرجع السابق،ص16.

لقد كان أول من استعمل لفظ "**موريزيا**" الجغرافيين الإغريقيين القدامى , للدلالة على الرقعة الجغرافية الأكثر بعداً بالنسبة لبلادهم من ليبيا "**بلاد المغرب**" ,أو التي تقع في أقصى الغرب ,ولا نعرف اللفظة الفينيقية السامية التي ترجمت إلى اللفظة الإغريقية "**موريزيا** " في اللفظ الفينيقي المتضمن لرحلة**"حنون"** حول افريقية الغربية

[14] - الجيتول:تسمية أطلقها الرومان على القبائل الساكنة في الصحراء مثلما أطلقوا كلمة البربر على كل من هو خارج إقليم الحضارة البربرية.

[15]- المرجع السابق،ص17.

[1]16 - مقدم مبروك مرجع سابق.ص18.

[1777]- بن عبد الكريم البداوي، درة الاقلام، مخطوط موجود، بخزانة تمنطيط، ورقة 05.

18 ابن خلدون، نفس المرجع السابق، 119.

[20] - محمد بن اعمر البداوي،نقل الروات عن من أبدع قصور توات(توات)، تحقيق، د قومي حمد، مرجع سبق ذكره، ص37..

[21]- ابن خلدون عبد الرحمان، ج6، مصدر سابق 119-120

.22- نفس المرجع، ص-120.

[23] - وادي الحنة: يضم حاليا بلديتي زاوية كنتة وانزجمير جنوب ولاية ادرار.

[24]- ابن خلدون 7ص.ص7.11-118.حيث يقول في معرض كلامه عنهم:" وهم أهل عديدة وعدة وبعد عن هيضمة الأحكام وذل المفارم"

25- فرج محمود فرج مرجع سابق ص05.

[26] - محمد بن عبد الكريم التمنطيطي .التقييد، مخطوط موجود بخزانة تمنطيط.ورقة 1.وجه1.

[27]- من بني هاشم عبد الله ابن عباس ومن بين تميم عبد الله ابن أبي بكر وعبد الله بن أبي طلحة في عدة من قومه.ومن بين عدي.عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن زيد بن الخطاب.وعاصم بن عمرو،بعدة من قومه.ومن بني أسد عبد الله بن الزبير في عدة من قومه ومن بني سهم عبد اله بن عمرو بن العاص.وعبد المطلب بن وداعة في عدة من قومه.انظر،مصطفى ابوضيف احمد اثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين.(524- 876ه/1130- 1472م) الطبعة الأولى.الدار البيضاء. ص32،31.

[28]- ابن خلدون المقدمة ص150.

29- مقدم مبروك ، الشيخ محمد بن عبد الكريم الماغيلي وأثره الاصلاحي بأمارات وممالك أفريقيا الغربية، الطبعة الأولى، دار الغرب ة للنشر، والتوزيع، وهران، 2002،ص.182.

30- ذكر هيرودوت أن الصحراء كان في الإمكان اختراقها، ويشير في هذا إلي قصة النبلاء الخمس من قبيلة (الناسمون) الذين كانوا يعيشون علي ساحل خليج السرت . وكيف أنهم اخترقوا الصحراء حتى وصلوا الي بلاد فيها أشجار مثمرة،وأرادوا قطف ثمارها فقبض عليهم بعض الرجال الصغار أطولهم اقل من المعتاد ينطقون بلسان غير مفهوم . أن هذه الاتصالات عبر الصحراء كانت قديمة للغاية . للمزيد من التفاصيل انظر . أ. مقدم مبروك. مرجع سابق ص182.

[3]1- مقدم مبروك.نفس المصدر ص186.

[3]2 - أبو ضيف مصطفي أحمد، مرجع سبق ذكره،.ص241.

[3]3 - ابن خلدون : العبر: الجزء السادس ص 267.

[1] 34 نفس المصد،ص66.
[35]-ابن بابا حيدة ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، تحقيق ،فرج محمود فرج ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1988،ص11.
[36] مصطفى ابوضف احمد ،مرجع سابق ،ص 317، 318 .
[37]-.- العربي هلال ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989.ص86.
[38]. نفس المصدر.ص221
[39] - جاسم الدباغ ، إشكالية الماء في التهيئة والتنمية الصحراوية في يوم 23-24-25نوفمبر 1996، مجلة إنسانيات، وهران العدد01 .سنة 1997، ص36
40- جاسم الدباغ، مداخلات الملتقي الوطني حول المجال والسكان .يوم 14-15 ابريل 2002 جامعة وهران ألسانية، دارالغرب، وهران، ص7.

[41]- NADIR MAROUF. Lecture de l'espace oasien- Paris –SIndbad.1980.P39.

42- NADIR MAROUF l'imaginaire historiographique entre conjectures et realites ou le probleme des sources : à propos de l'établissement humain en milieu saharien. Insaniyat , N°2, CRASC، ORAN NE -1997. P159.